مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

على الرغم من توفر عدد كبير من العلماء والباحثين على دراسة العمارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة ونشرهم العديد من الأعمال ذات القيمة والأصالة العلمية والتى تنوعت ما بين مؤلفات وبحوث إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلى المزيد من المؤلفات العربية فى مجال فن العمارة الإسلامية فى شرق وغرب العالم الإسلامى مما دفعنى إلى تخصيص هذا الكتاب للعمارة الإسلامية منذ السنة الأولى للهجرة حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين فى الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر والمغرب الأدنى، وهذا التناول كان ومايزال مثار اهتمامى فى إطار موسوعة تتناول العمارة الإسلامية عبر عصورها التاريخية المختلفة.

ويهدف موضوع هذا الكتاب إلى دراسة الآثار الإسلامية الدينية والمدنية والحربية (الدفاعية) فى الحجاز واليمن خلال عهد الرسول ﷺ، كما يهدف هذا الموضوع أيضًا إلى دراسة الآثار الإسلامية فى المدينة المنورة والأقطار والأمصار التى خضعت للحكم الإسلامى فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

هذا وقد اتبعت إلى حد كبير تقسيمًا تاريخيًا فى عرض الفن المعمارى الإسلامى خلال تلك الفترة الزمنية من الحضارة الإسلامية، وقد رأيت أن أبدأ

موضوع هذا الكتاب بفصل يتناول المسجد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ثم المسجد لغة وشرعًا كدراسة تمهيدية قبل الدخول فى نشأة المسجد من الناحية المعمارية، وفى الفصل الثانى تناولت المسجد الحرام فى القرآن الكريم من منطلق أنه أول مسجد وضع على الأرض ثم عمارته فى العصر الإسلامى حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، ثم تناولت الدراسة فى هذا الفصل تشييد المسجد قبل هجرة الرسول ﷺ وفى أثناءها، حيث تناولت مسجدًا شيده أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم مسجد قباء ومسجد الضرار ثم مسجد وادى رانوناء لأهمية ذلك بالنسبة للرد على المستشرقين، كما تناولت المسجد النبوى من حيث الموقع لبيان فكر الرسول ﷺ ولإيضاح أثر ذلك على عمارة المسجد فى الأقطار والأمصار الإسلامية بعد ذلك، ثم إرساء الرسول ﷺ قاعدة إسناد الحرف إلى أصحابها، كذلك تناولت تأسيس المسجد وتخطيطه والرد على المستشرقين ثم أثر العوامل البيئية فى تطور التخطيط من ناحية والعقيدة الإسلامية السمحة من جهة أخرى، وتناولت تحويل القبلة وأثره فى تطور المسجد النبوى، والأذان والمئذنة والمؤذن والرد على المستشرقين فيما يتعلق بعمارة المئذنة وعمل المنبر وتخطيط المسجد النبوى.

هذا وقد تناولت الدراسة فى هذا الفصل أيضًا دور (بيوت) الرسول ﷺ، ثم المدينة المنورة وعمائرها فى عهد الرسول ﷺ لبيان أثر ذلك فى تخطيط الأمصار الإسلامية الأولى بعد ذلك فى البصرة والكوفة والفسطاط فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه، كما تناولت مساجد الرسول ﷺ التى شيدها فيما بين المدينة المنورة وتبوك، ثم مساجد اليمن التى شيدت خلال تلك الفترة مثل جامع صنعاء الكبير، والجامع الكبير بذمار، وجامع الجند، ومسجد ضهر.

وفى الفصل الثالث الذى جاء بعنوان «الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تناولت الدراسة سن الزيادة فى المسجد النبوى ثم عمارته وإنارته، كما تناولت مدينة البصرة وعمائرها ١٤هـ / ٦٣٥م، والقدس وعمارة

المسجد الأقصى فى عام ١٥ هـ / ٦٣٦م، ثم مدينة الكوفة وعمائرها ١٧هـ/ ٦٣٨م، ومدينة الفسطاط وعمائرها ٢١هـ/ ٦٤٢م، ثم مقبرة المقطم (القرافة) بمصر، والاستحامات الحربية بمصر.

أما الفصل الرابع الذى جاء بعنوان «الآثار المعمارية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه» فقد تناولت الدراسة فيه عمارة المسجد النبوى بالمدينة المنورة التى تمثل البداية الحقيقية لتطور وازدهار الفن المعمارى الإسلامى، ثم مناقشة حول مقاصير الصلاة، كما تناولت نقش المسجد والآراء التى ذكرت فى ذلك، كذلك تناولت تخطيط المسجد النبوى بعد عمارة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من خلال استعراض كافة مساجد العالم الإسلامى خلال تلك الفترة الزمنية من الحضارة الإسلامية.

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بعنوان «عمائر الشام وبرقة وطرابلس الغرب فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما» وقد آثرت أن يكون هذا الفصل بهذا العنوان لصعوبة الفصل بين عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما فى تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى، فهذه الاستحكامات الحربية كما يقول محمد عبد الهادى شعيرة ترجع إلى عهدى عمر وعثمان رضى الله عنهما، أما فيما يتعلق بفتح برقة وطرابلس الغرب فقد بدأ فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، واستمر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ومن ثم آثرت أن يكون هذا الموضوع مع الاستحكامات الحربية، وتشمل هذه النقطة فتح برقة ثم فتح طرابلس الغرب مع إيضاح أهمية برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية، ومن ثم تناولت تطور الاسم (انطابلس - برقة - المرج)، ثم طبيعة أهل برقة، ثم أهم العماثر التى شيدت واندثرت فى ضوء النصوص التاريخية.

وقد لخصت فى الخاتمة نتائج الدراسة ثم ثبت الأشكال، ثم ثبت المصادر

والمراجع العربية وغير العربية، وتضمن الكتاب كتالوج الأشكال ثم ثبت الكتب والبحوث للمؤلف.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار والفنون الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابى هذا حافزاً للدارسين للاهتمام فى دراساتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم بالدراسات المقارنة فى مجال العمارة والفنون الإسلامية، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. عبد الله كامل

القاهرة ٣١/ ١/ ٢٠٠٣م